مجلة مركز بحوث ودراسات

المدينة المنورة

العدد الرابع والعشرون / محرم - ربيع الأول ١٤٢٩ هـ ، فبراير - أبريل ٢٠٠٨م

٢٤

- الأحوال الاجتماعية والسكانية والاقتصادية والسياسية في المدينة المنورة قبيل غزوة الأحزاب
- المدينة المنورة في رحلة البلوي (دراسة وتحقيق)
- فهرس الرسائل الخطية الموجودة ضمن مجاميع مخطوطات مكتبة عارف حكمت (تاريخ عربي)
- من النباتات الطبية في المدينة المنورة (العرعر ، الصبر ، الحناء)

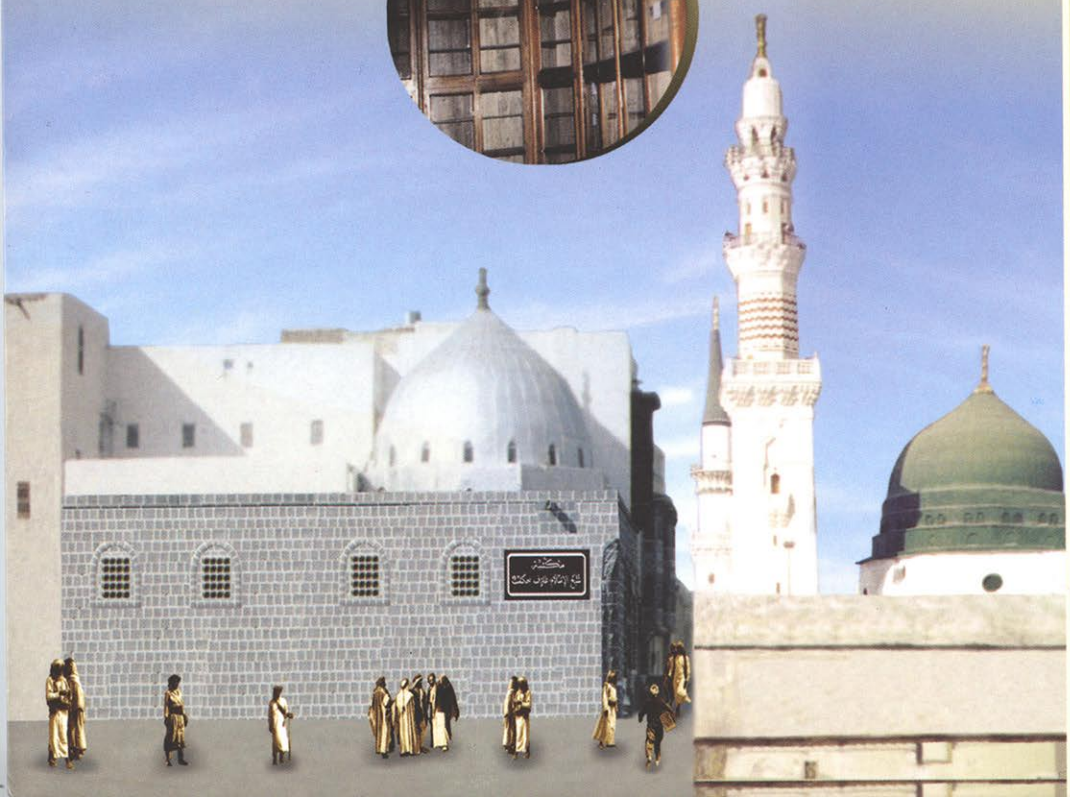

المدينة في رحلة البلوي
المسماة: تاج المفرق في تحلية علماء المشرق
لخالد بن عيسى بن أحمد البَلَوي (ت:٧٨٠هـ)

د. مصطفى عمار منلا

باحث ورئيس قسم المخطوطات والوثائق

بمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

المؤلف:

خالد بن عيسى بن أحمد البَلَوي، أبو البقاء، علم الدين[1]، ولد في قَنتورية[2]. ونشأ في أسرة عرفت بالعلم والتدين، أخذ العلم عن والده وكان قاضياً، ثم استوفى طلب العلم من علماء بلده، وبعدها رحل إلى غرناطة ودرَسَ بها، وعندما بلغ سن العشرين رحل إلى فاس وتلمسان وغيرها من بلاد المغرب[3] ثم رحل إلى المشرق للحج وطلب العلم.

---

1) ترجمته: الإحاطة في أخبار غرناطة ١: ٥٠٠، الكتيبة الكامنة فيمن لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة١/١٣٤، درة الحجال ١/٢٦٢، نفح الطيب ٢/٥٣٢.

٢) قنتورية: بلدة صغيرة من أعمال ولاية المرية، على نهر المنصورة. انظر: الإحاطة ١/٥٠٠ حاشية رقم: ٢. شجرة النور الزكية في طبقات المالكية لابن مخلوف ١/٢٢٧.

ولم تذكر المصادر شيئاً عن تاريخ ميلاده، وقد قدر أحد الباحثين تاريخ مولده سنة ٧١٣ هـ.انظر: تاج المفرق ١/٢٥.

٣) انظر: جذوة الاقتباس لابن القاضي ١/١٨٦ -١٨٧.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

تلقى العلم عن عدد كبير من علماء عصره في الأندلس والمغرب والمشرق[1]. وحظي لديهم بمكانة عالية، فذكروه بالفضل، والتواضع، والخلق الحسن، ولين الجانب، والأدب الرفيع[2]. وكان ذا بسطة في الجسم، إلا أنه رقيق في طبعه[3]، يتشبه بأهل المشرق شكلاً ولساناً، ويصبغ لحيته بالحنَّاء والكَتَم[4].[5]

ترك جملة من المؤلفات أهمها:

١ - تاج المفرق في تحلية علماء المشرق[6]، وهي رحلته التي نتحدث عنها.

٢ - برنامج[7] روايته.[8]

٣ - ديوان شعر.[9]

توفي سنة ٧٨٠هـ.

الكتاب:

---

١) تحدث عن رحلته وعن العلماء الذين لقيهم على وجه التفصيل في كتابيه : تاج المفرق في تحلية علماء المشرق وهي رحلته الشهيرة. والثاني: برنامج روايته. وانظر أيضاً: نيل الابتهاج ٩٩، عنوان الدراية ٦٤، مقدمة تاج المفرق ٢٩/١.

(٢) انظر: نيل الابتهاج ٩٩، الإحاطة ٥٠٠/١، جذوة الاقتباس ١٨٦/١.

٣) انظر: الكتيبة الكامنة ١٣٤/١.

٤) الكتم: نبات فيه حمرة يخلط مع الحناء ليشتد لونه للخضاب الأسود. انظر: القاموس المحيط(كتم)، لسان العرب (كتم)

٥) انظر: الإحاطة ٥٠١/١، نفح الطيب ٥٣٣/٢.

٦) نشره أحمد السائح، دون تحقيق، المغرب، دون تاريخ.

٧) البرنامج: هو الكتاب الذي يشتمل على ذكر الشيوخ الذين لقيهم المؤلف وأخذ عنهم أو أجازوه. ويسمونه أيضاً: ثبت، أو مشيخة.

٨) لم أقف على هذا الكتاب، ولا أعلم له وجوداً، وقد ذكره المؤلف كثيراً في تاج المفرق: انظر: ١/ ١٧٥، ٢٠٦.

٩) أثبت فيه قصائده التي قالها أثناء الرحلة. انظر: تاج المفرق: ٩٠/٢.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ألف كتابه هذا في وصف رحلته التي كانت بقصد الحج وطلب العلم، وبين منهجه في مقدمة كتابه، فقال: هذا تقييد قصدت به ضبط موارد الرحلة الحجازية، وذكر معاهد الوجهة المشرقية، وألممت بذكر بعض الشيوخ من العلماء الفضلاء، وذكر نبذ من فوائدهم وطرف من أناشيدهم، سميته: بتاج المفرق، في تحلية علماء المشرق[1].

وقد بدأت رحلته من بلده: قَنتورية بالأندلس يوم السبت الثامن عشر لصفر سنة ٧٣٦هـ[2]، إلى الْمَرِيَّة وبقي فيها حتى يوم الأحد ٧/جمادى الأولى[3] فمرسى هِنِّين، ثم غادرها ماراً بالمدن التالية: تِلمسان، الجزائر، بَجاية، قَسَنْطينة، بُونَة ثم تونس التي وصلها يوم السبت أول شعبان[4] ومكث فيها حتى يوم السبت ١٧/ربيع الثاني/ سنة ٧٣٧هـ[5] ثم غادرها بالمركب إلى قوسرة، ثم مالطة، فقبرص، حتى وصل إلى الإسكندرية ليلة الجمعة ١٣/جمادى الآخرة[6] الآخرة[6] ثم غادرها متوجهاً إلى القاهرة يوم الثلاثاء ٨/رجب[7] وبقي فيها حتى حتى يوم الاثنين ٢٨/رجب[8] فخرج منها إلى غزة، فمدينة الخليل، ثم وصل إلى بيت المقدس يوم الأحد ٢/شعبان[9] وبقي فيها حتى يوم الأربعاء ١٢/شوال[1] ثم

---

١) انظر: تاج المفرق ١٤٢/١.

(٢) تاج المفرق ١٤٤/١.

(٣) تاج المفرق ١٤٨/١

(٤) تاج المفرق ١٦٦/١.

(٥) تاج المفرق ١٩٣/١.

(٦) تاج المفرق ١٩٧/١.

(٧) تاج المفرق ٢١٥/١.

(٨) تاج المفرق ٢٣٨/١.

(٩) تاج المفرق ٢٤٥/١.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ثم غادرها متوجهاً إلى الكرك فتبوك، فالعلا، فوادي القرى، فالمدينة المنورة التي وصلها يوم الخميس ١٩/ذي القعدة[٢]، ومكث فيها حتى ٢٣/ذي القعدة. ثم غادرها إلى مكة ووصل إليها يوم الخامس من ذي الحجة. ثم عاد إلى المدينة بعد أداء فريضة الحج، فوصلها يوم الأربعاء ٢٣/ذي الحجة، ومكث فيها يوماً واحداً أي غادرها يوم الخميس ٢٤/ذي الحجة عائداً إلى بلده، سالكاً طريق قدومه حتى وصل إلى الإسكندرية، ثم دشار الغمارى التي وصلها في ربيع الأول سنة ٧٣٨هـ وامتحن فيها[٣] فرجع إلى الإسكندرية يوم الاثنين ٧/جمادى الأولى[٤] وبقي فيها حتى يوم الأربعاء الأول من شوال سنة ٧٣٨هـ[٥]، ثم غادرها مجتازاً شمال إفريقيا حتى وصل إلى مرسى هنين فركب منها إلى المرية ثم تابع سيره سالكاً طريق قدومه حتى وصل بلده يوم الاثنين ١/ذي الحجة/سنة ٧٤٠هـ[٦].

وصف النسخ الخطية:

حقق هذا القسم على نسختين خطيتين:

الأولى، وهي نسخة الأصل.

أولها:

---

(١) تاج المفرق ١/٢٧٥.

(٢) كما سيأتي في القسم المحقق.

(٣) انظر: تاج المفرق ٢/٣٠.

(٤) تاج المفرق ٢/٣١.

(٥) تاج المفرق ٢/٦٦.

(٦) تاج المفرق ٢/١٥٦.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

عونك يا الله وبك أستعين بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله الذي فرض حج البيت على من استطاع إليه سبيلا وجعله تأسيس .....

آخرها:

خلت بك الغر من أعلامهن فكم لها عليهن من حق ومن منن

فاسلم ودم في المعالي والجلال كما تحب في المال والأهلين والوطن

أصل المخطوطة محفوظ في مركز خدمة السنة والسيرة النبوية بالمدينة المنورة، نسخة جيدة ، كتبت بخط مغربي، مصححة ، ضبطت بعض كلماتها بالشكل ، في أولها هوامش قليلة ،كتبت رؤوس المطالب بخط كبير.

في آخرها مانصه: نقلت عن نسخة مكتوبة بخط محمد بن محمد بن جعفر بن محمد بن جعفر بن يوسف الأسلمي في ١٦ / شوال / عام سبعة وخمسين وسبعمائة ، ثم قابلها حفيد المؤلف ، وكان تمام المقابلة في اليوم الخامس عشر من ربيع الأول المبارك عام تسعة عشر وثمانمائة .

هذا ماوجد في آخر المخطوطة، والذي أميل إليه أن هذه النسخة نقلت عن نسخة حفيد المؤلف، في القرن العاشر أو مابعده تخميناً.

عدد أوراقها: ٤٥ورقة، مسطرتها مختلفة، بين ٣٠ و٤١ سطراً. رقم الحفظ في مركز خدمة السنة: ١٣.

(توضع هنا صورة الصفحة الأولى، والأخيرة من الأصل)

النسخة الثانية:

ورمزت لها بنسخة(ب):

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

أولها:

بسم الله الرحمن الرحيم، قال الأديب البارع .....الحمد لله الذي جعل فرض حج البيت على من استطاع إليه سبيلا وجعله تأسيس.....

آخرها:

دعوني في حلى من العيش مائساً ومرتقبا من بعده عفو راحم

أمد إلى ذات الأساور مقلتي وأسأل للأعمال حسن الخواتم

إنه أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين.....كمل بفضل الله وقوته ومنه وتوفيقه وتأييده وحسن عونه....

أصل المخطوطة محفوظ في الخزانة الملكية بالرباط، تأثرت أطرافها بالرطوبة، كتبت بخط مغربي، مصححة، ضبطت بعض كلماتها بالشكل ، في أولها هوامش قليلة ،كتبت رؤوس المطالب بخط كبير.

تاريخ النسخ: أواسط رجب عام ١١٦٥هـ.

في أولها: فهرس بموضوعات الرحلة، وترجمة مختصرة للمؤلف.

في آخرها: كتبت من آخر مبيضة ببرشانة المحروسة في آخر يوم من جمادى الأولى عام ٧٧١هـ.

عدد أوراقها: ١٤٢ورقة، مسطرتها ٢٣ سطراً. رقم الحفظ في مكتبة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ميكروفيلم : ٥٣٧١.

(توضع هنا صورة الصفحة الأولى، والأخيرة من نسخة ب)

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

المدينة في رحلة البلوي
(تاج المفرق في تحلية علماء المشرق)

٢٢/أ[١] وحين وصلنا إلى [ثَنِيَّةِ][٢] المدينة النبوية الكريمة، علمنا أن لمشاركة اسمها استحقَّتْ الثَّنَايَا القُبَلْ، ولما انجلت عنه من بَارِقَةِ اللِّقَاء اتصف بها الاشتراك واتَّصَلْ، فشاهدنا نوراً خالفَ العادةَ إشراقُهُ، وعَزَّ على ضوء النَيِّرَيْنِ[٣] لحاقُهُ، عرفتهُ البَصَائِرُ قبلَ الأبصَار، وأنكرتهُ النَّواظرُ لعلو جوهره[٤] على الأنوار، ففسحتُ لطرَفِ طَرْفِي في ذلك الأُفْقِ مَجالاً، وأرسلتُ دَمعي سِجَالاً[٥]، ونظمت ارتجالاً:

اللّه أكبرُحَبَّذَا إكبَارُهُ	لاحَ الهدَى وَبَدَتْ لَنَا أنوارهُ
لاحَتْ مَعَالمُ يَثربٍ وربُوعُهَا	مَثْوى الرَّسُولِ ودَارُهُ وقَرَارهُ
هذا النَّخيلُ وطَيْبَةٌ ومُحَمَّدٌ	خيرُ الوَرَى طُرًّا وهَا أَنا جَارُهُ
هذا الْمُصَلَّى والبَقيعُ وهَاهُنا	رَبْعُ الحبيبِ[٦] وهذهْ آثَارُهُ

---

١) نسخة ب: ٦٠/ب

٢) سقطت من الأصل وأثبتت كما في نسخة ب.

٣) الشمس، والقمر.

٤) في ب : جوهر نوره: بدل : جوهره.

(٥) غزيراً، كالدلو الضخمة المملوءة. لسان (سجل).

(٦) منزله. القاموس (ربع).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

هذي مَنَازِلُهُ المقَدَّسَةُ التي جبريلُ رَدَّدَ بينَهَا تكرَارُهُ

هذي[1] مَواضعُ مَهبطِ الوحي الذي تَشْفي الصدورَ من العمىَ أَسْطَارُهُ[2]

هذي مَواطِئُ خيرِ مَنْ وَطِئَ الثَّرَى وعَلاَ على السَبْعِ العُلا استقرارهُ

مَلأَ الوجودَ حقيقَةَ إِشرَاقُهُ[3] فأضاء منه ليله ونهاره[4] ٢٢/ب

والرَّوضَةُ الفَيْحَاءُ هَبَّ نسيمُهَا والبَانُ[5] بَانَ ونَمَّ منهُ عَرَارُهُ

وَتَعَطَّرَتْ سَلْعُ[6] فَسَلْ عن طِيْبِهَا[7] لِمَ لا تَطيبُ وحولَها مُخْتَارُه

بُشرَاكَ يا قلبي فَقَدْ نِلْتَ المنَى وبلغتَ ما تهوَى وما تختَارُهُ

قد أمكنَ الوصْلُ الذي أَمَّلتَهُ وكذاك حُبِّي أَمْكَنَتْ أَسرَارُه

قد كان عندي لوعَةٌ قَبْلَ اللِّقَا فالآنَ ضاعفَ لَوْعَتي إبصارُهُ

رِفْقاً قليلا يا دُمُوعي أقْصِري فالدَّمْعُ يَحْسُنُ في الهَوى إقصَارُهُ

قد كانت الدِّمْنُ[8] الكريمة في غِنًى عن أن يَغِيْضَ بِتُرْبهَا[9] تَيَّارُهُ

أيَضيعُ مَنْ زَارَ الحبيبَ وقد دَرَى أَنَّ المزُورَ بباله زَوَّارُهُ

أَيخيبُ مَنْ قَصَدَ الكريمَ وعندهُ حُسْنُ الرَّجَاءِ شِعَارُهُ وَدِثَارُهُ[10]

---

١) في ب : هذا.

٢) في ب : ٦١/أ

٣) في ب : إشراقها.

٤) في ب: فأصاب ليلاً نوره ونهاره.

(٥) شجر يسمو ويطول، ليس لخشبه صلابة. لسان العرب (بين)

(٦) من جبال المدينة، يقع غربي المسجد النبوي.

٧) في الأصل: حبها، والمثبت من ب، وهو الصواب.

(٨) الموضع القريب من الدار. انظر: القاموس (الدمن).

٩) في ب : بمائها.

١٠) في ب : حسن الرجاء دثاره وشعاره.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

أَيَؤُمُّ بَابَكَ مُسْتَقِيلٌ عَاثِرٌ[1] فَيُرَدُّ عنكَ ولا تُقَالُ عِثَارُهُ[2]
حَاشَا وكَلاَّ أن تُخَيِّبَ آمِلاً فَيَعُودَ صِفْرًا خُيِّبَتْ أَسْفَارُهُ
يا سَيِّدَ الأرسال ظَهْري مُثْقَلٌ فعسى تَخِفُّ بجاهِكُمْ أَوْقَارُهُ[3]
أَوْقَارُهُ[3]

رُحْمَاكَ فيمَنْ أَوْبَقَتْهُ ذُنُوبُهُ فكأنما إقبالُهُ إدْبَارُهُ
ليسَ الصَّغَارُ وقَدْ تَعَاظَمَ وِزْرُهُ والعفو تَصْغُرُ عندَهُ أوزارُهُ
شَطَّ المزارُ ولا قَرَارَ وشَدَّ ما يَلقَى مُحَبٌّ شَطَّ عنك مَزَارُهُ
وَافَى[4] حِمَاكَ يَفِرُّ مِنْ زَلاَّتِهِ وإليكَ يا خَيْرَ الأنامِ فِرَارُهُ
وأتاكَ يَلتمسُ الشَّفَاعةَ والرَّجَا يَقتادُه[5] وظنُونُهُ أَنْصَارُهُ
والعبدُ مُعتذرٌ ذَليلٌ خَاضِعٌ ومُقَصِّرٌ قد طُوِّلَتْ أَعْذَارُهُ
مُتَوَسِّلٌ[6] قَدْ أغرقتهُ دُمُوعُهُ مُتَنَصِّلٌ[7] قد أحرقتْهُ نارُهُ
قَذَفَتْ به في غُرْبَةٍ أَوْطَانُهُ وَرَمَتْ به لِعُلاكُمُ أَوْطَارُهُ[8]

---

١) في ب : حائر.

(٢) أي: تغفر زلاته.

(٣) أحماله وأثقاله.

٤) في ب : وفي.

٥) في ب : يقتاده.

٦) في ب : متوسد. وهو تحريف.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: " التوسل يراد به ثلاثة معان: أحدها التوسل بطاعته، فهذا فرض لا يتم الإيمان إلا به، والثاني التوسل بدعائه وشفاعته، وهذا كان في حياته و يكون يوم القيامة يتوسلون بشفاعته، والثالث التوسل به بمعنى الإقسام على الله بذاته والسؤال بذاته، فهذا هو الذي لم تكن الصحابة يفعلونه في الاستسقاء ونحوه لا في حياته ولا بعد مماته، لا عند قبره ولا غير قبره ...". قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص ٥٠).

(٧) تائب من ذنبه. القاموس (نصل).

(٨) حاجاته المهمة. اللسان (وطر).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

فامْنُنْ وسَامِحْ واعْفُ واصْفَحْ واغْتَفِرْ فلأنْتَ مَاحٍ للخطا غَفَّارُهُ/[1]
صَلَّى عَليكَ اللّهُ مَا حَيَّا الحيـا رَوضُ الرُّبَى وترنَّمَتْ أَطْيَارُهُ

ثم تحدَّرْنَا من الهضَاب، وقَذَفَتْنَا بطونُ الأودية من أَفْوَاه الشِّعَاب، ولاحَتْ لنا الأنوار النَّبوية من تلك القِبَاب، وشَرُفَتْ الجِبَاهُ بوَطْءِ ذَاكَ التُّرَاب:

ولَمَّا رأينا رَبْعَ مَنْ لَمْ يَدَعْ لَنَا فُؤَاداً لتِذْكَارِ الدِّيَارِ ولالُبَّا
نَزَلْنَا على الأكْوَارِ[2] نمشي كَرَامَةً لمن بَانَ عنه أن نُلِمَّ به رَكْبا

ومن آداب الزيارة إذا أشرف[3] على المدينة، أو على البنيان[4]، أن[5] يَتَرَجَّلَ، ولما قَدِمَ الجَوْهَرِيُّ[6] المدينةَ تَرَجَّلَ، وَجَعَلَ يقول:

رُفِعَ الحجابُ لنا فَلاَحَ لِنَاظِرِي قَمَرٌ تَقَطَّعَ دُونَهُ الأَوْهَـامُ

---

١) في ب: ٦١/ب.

العفو والمغفرة لله سبحانه وتعالى فهو العفو الغفور، يقول سبحانه وتعالى مخاطباً نبيه محمد صلى الله عليه وسلم: چ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ چ آل عمران: ١٢٨ – ١٢٩.

(٢) عن الرحل. القاموس (الكور).

٣) في ب بزيادة : الزائر.

(٤) في الأصل: البيت. والمثبت من ب، وهو الصواب.

٥) في ب : البنيان . بدل : البيت أن .

٦) أبو الفضل عبد الله بن الحسين، الجوهري، واعظ العصر، توفي سنة ٤٨٠هـ. سير أعلام النبلاء ٤٩٥/١٨.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وإذا الْمَطِيُّ[1] بنا بَلَغْنَ مُحَمَّداً فَظُهُورُهُنَّ على الرِّجَالِ حَرَامُ
قَرَّبْنَنَا مِنْ خَيْرِ مَنْ وَطِئَ الثَّرَى فَلَهَا علينا حُرْمَةٌ وذِمَامُ[2]

ومشى حتى بلغَ إلى المسجد، وهو ينشد[3]:

هذهِ دَارُهُمْ وأنت مُحِبٌّ ما بَقَاءُ[4] الدُّموعِ في الآمـــاقِ
والمغَاني للصَبِّ فيها مَعَانٍ فهي تُدْعَى مَصَارِعَ العُشَّـــاقِ
حُلَّ عَقْدَ الدُّمُوعِ واحْلُلْ رُبَاهَاواهْجُرِ الصَّبْرَ واقْضِ حَقَّ الفِرَاقِ

ووصلنا[5] إلى المدينة النبوية الكريمة[6] الشريفة، المخصوصة بالصفحة الزهراء والتربة البيضاء، [والبقعة المشرفة بمحمد ﷺ سيد الأنبياء صلى الله عليه وسلم، صَلاةً تتصل مع الأحيان][7] والآناء، فنزلنا بها في ضحى يوم الخميس التاسع عشر لذي القعدة من العام المذكور[8]، ثم ابتدرنا إلى الحرم

(١) المطية: الدابة، وجمعها مطايا ومَطي. القاموس (مطى).
(٢) وذكرت هذه الأبيات أيضاً في: الشفا ٤٧/٢، نهاية الأرب ٩٣/١.
والذمام: الحق. القاموس (ذم).
(٣) الأبيات الثلاثة لأبي بكر الشبلي، المتوفى سنة ٣٣٤ عن نيف وثمانين سنة. انظر: سير أعلام النبلاء ٣٦٧/١٥، نفح الطيب ٤٠/١ -٤٥.
٤) في ب : مااحتباس.
٥) في ب : ودخلنا.
٦) في ب بزيادة : المقدسة.
٧) سقط مابين المعقوفتين من ب.
٨) سنة ٧٣٧هـ.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

الشـريف، والكـرم قـد فُـتِحَ البـابُ، ورُفِـعَ الحجـابُ، ومُـلأَ بـالبرِ الرحـابُ، فاسـتعظمْنَا الإقـدامَ على المقـامِ، وعَجَزْنَـا عـن أداءِ الحـبِّ مـن السـلام، فَعَبَّـرَتِ العَبَرَاتُ[1] عن الكلام، وَوَقَفْنَا بين يَدي سَاكِنِهِ عليه أفضلُ الصَّلاةِ وأزكى السلام، فيا لَها تَحِيَّةً أَرَقُّ من النَّسيم إذا سَرَى، وسلاماً أَنْدَى على الأَكْبَادِ من قَطْرِ النَّدى، وألذُّ في الأَجْفَان من سِنَةِ الكَرَى، وحين فُزْتُ بهذه النِّعْمَةِ فَوزاً عظيماً، ودخلت مع تلك الموجَةِ مُدْخَلاً كَرِيماً، وقفتُ بعد الاستغفارِ بالتوبة والإنابة[2] لقوله تعالى چﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ/[3] ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ چ[4]، وأخذتُ في تلاوة القرآن المنزَّلِ عليه في حَضرته، ومثلتُ نفسي جَالساً جَالساً بين يَدَيْه الكريمتين، أعرضُ عليه دَرْسي بعد اسْتِئْذَانه ومَشُورَتِه، ثمَّ خَتَمْتُ الخَتْمَة بالدُّعَاءِ، و[أطفأت بل][5] أَضْرَمْتُ نَارَ الأَشْوَاقِ بماءِ البُكاء، وهَنَّأْتُ نفسي ببلوغِ المُنَى وزَوَال العَنَاء:

وعَفَّرْتُ خَدِّي في شذا ذاك الثَّرَى ومَتَّعْتُ طَرْفِي بالحَبِيبِ ومَسْمَعي

ثم أقبلت على ذاك الحرم الشريف. والمسجد الرفيع المنيف، أتأمل محاسنه، وأتخيل فيه بين أصحابه الأبرار فيها[6] ساكنه[7] ، فمن أبدع ما رأيته وأبرعه

---

١) الدموع.

٢) في الأصل: والرحمة. والمثبت من ب، وهو الصواب.

٣) في ب : ٦٢/أ

٤) النساء: ٦٤.

٥) سقط مابين المعقوفتين في ب.

٦) سقطت في ب.

٧) في ب بزيادة : صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

قصيدة فريدة، قد كتبت بالخط المذهب الرائق البديع، وأثبتت في ألوان الأزهار التي تُخْجِلُ زهرَ الربيع، ورفعت أمام الروضة المقدسة في سقف المسجد الشريف الرفيع، فنحلت القراطيس لؤلؤها وعقدها، ونقلت ما كان قبلها وبعدها، وهاهي تُسْفِرُ عن غُرَّتها الواضحة، وتَعبِقُ عن نَسْمَتِهَا النَّافِحَة، وتشهدُ لناظمها بالقريحة الرَّاجحة، والعقيدة الصالحة:

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

سَلامٌ كنَشْرِ الرَّوضِ من مَسْقطِ النَّدا عليكَ رَسُولَ الله يا مَنْزِلَ الهدى
ويا مَهْبطَ الأمْلاكِ والوَحي لم تَزَلْ أنيساً بزَوْرَاء الرَّسُولِ مُمَجَّدَا
ويا تُرْبَة المُخْتَارِ أفديكِ تُرْبَةً بنفسي وان كَانَت أَقَلَّ من الفِدَا
ويا بيتَه حَيّاً ومَثْوَاه مَيْتاً لكَ الفخرُ في حَالَيه بَيْتاً ومَشْهَداً
تَضَمَّنْتَ أعضاءَ الرَّسُولِ مُبوءاً مِهَاداً من الفِرْدَوس فيك مُمَهَّداً
سَقى الله منكَ التُّرْبَ أفضلَ ما سَقَى وصَلَّى على مَنْ حَلَّ فيك مُوسداً
فيا مَنْزِلَ الأبْرَارِ حُيِّيتَ مَنْزِلاً ويا مَسْجِدَ الأبْرَار[1] شُرِّفْتَ مَسْجَدَا
كَأني[2] أَرى صَحْبَ النَّبي مُحَمَّدٍ بأرجَائك انبَثُّوا رُكُوعاً وسُجَّدَا
وفيكَ[3] بَدَتْ من جَنَّةِ الخُلْدِ رَوْضَةٌ تطوفُ بها الأفلاكُ مَثْنَى ومَفْرِداً
سَلامٌ من الرَّحمن يَذْكُو أَرِيجُهُ أَخَصُّ به خَيْرَ الأَنَامِ مُحَمَّدَا/[4]
سَلامٌ ورضوان ورَوْحٌ ورَحْمَةٌ على رُوحِهِ ما رَاحَ سَاعٍ وما غَدَا

---

١) في ب : الأنصار.
٢) في ب : فإني.
٣) في ب : ففيك.
٤) في ب : ٦٢/ب

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

فيا خَيْرَ أَهْلِ الأرضِ بَيْتاً وعُنْصُرَاً وأشرفَ خلق اللّه بَيتاً[1] ومَحْتِدَا
وأوسَعهم حِلْماً وأزْكى خَلائِقاً وأطْيَبهم خَيْماً وأطيبَ مَوْلِدا
ويا صَفْوَةَ الرَّحمنِ مِنْ خَيْرِ خَلْقِهِ وأطوَلِهم طَوْلاً وأعظمَ سُؤْدُدَا
شَهدتُ بأن اللّه لا ربَّ غيرَهُ وأنَّ رسُولَ اللّه حَقًّا مُحَمَّدا
وأشهدُ أن اللّه أهداكَ رَحْمَةً إلى خَلْقِهِ وأختاركَ اللّه سيدا
فَصَلَّى عليكَ اللّه يا خيرَ مُرْسَلٍ ويا خَيْرَ مَنْ بالمعجزَاتِ تَفَرَّدَا
وصَلَّى عليكَ اللّه ما لاحَ بَارِقٌ وما رَاحَ طَيْرٌ في الغُصُونِ مُغَرِّدَا
وصَلِّ على الأبرار أَهْلِكَ إنَّهُم بنورهم يَأْتَمُّ مَنْ قَدْ تَزَهَّدَا[2]
[هُمُ القومُ عنهم اذهب الرِّجْسَ كُلَّهُ وَرَكَّبَ فيهم كُلَّ خَيرٍ وأوْجَدا][3] ٢٣/أ
صَلاةُ الهي والسَّلامُ مُضَاعفٌ على المصطفى المختَارِ ما اتَّصلَ المدَى

اللهم أَدمِ العِزَّ والتَّمْكين والنَّصْرَ والفتحَ المبين لعبدك المسكين، الذي أوْليتَهُ أمورَ المسلمين واخترتَه على كثير من العَالَمين السلطانُ الملكُ النَّاصرُ، ناصرُ الدُّنْيَا والدين، أبو المعالي محمد[4] قَيِّمُ أميرُ المؤمنين سلطانُ الإسلام

١) في ب : نفساً.

٢) في ب : نجوم بها ينجو غدا من بها اهتدى.

٣) سقط مابين المعقوفتين في ب.

٤) محمد بن قلاوون بن عبد الله الصالحي، أبو الفتح، الملك الناصر: من كبار ملوك الدولة القلاوونية، له آثار عمرانية ضخمة وتاريخ حافل بجلائل الأعمال، ولد سنة ٦٨٤هـ، وولي سلطنة مصر والشام سنة ٦٩٣ هـ، وهو صبي، وخلع منها لحداثة سنة ٦٩٤هـ فأرسل إلى الكرك، ثم أعيد للسلطنة بمصر سنة ٦٩٨هـ فأقام في القلعة كالمحجور عليه، واستمر على ذلك نحو عشرين سنة، ثم أظهر العزم على الحج، فلما بلغ الكرك نزل بقلعتها واستولى على ما فيها من أموال، وأعلن أنه اختار الإقامة بالكرك وترك السلطنة، وكتب إلى الأمراء في مصر بذلك فاجتمع هؤلاء ونادوا بالأمير بيبرس الجاشنكير سلطاناً على مصر والشام سنة ٧٠٨هـ ولقبوه بالملك المظفر، وأمضى الناصر في

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

والمسلمين، قاتلُ الكفَرةِ والمشركين، قاهرُ الفَجَرةِ والمتمَردين، حامي حَوْزَةَ الدين، سلطانُ الديار المصرية والعراقية والشَّامية، ملكُ البحرين، خادمُ الحرمين الشريفين، ولدُ السلطانِ المرحومِ، الملكِ المنصور[1]، سيفِ الدنيا والدين قلاوون الصَّالحي، أدامَ اللّه أيامه، ونشرَ في الخافقين رايتَهُ وأعلامَهُ، وجعلَ السَّعْدَ والإقبالَ حيثما توجه أمامَهُ، وكان ابتداء العمل في شهر ربيع الأول، وانتهاؤه في جمادى [مستهل الآخر][2] سنة إحدى وسبعمائة للهجرة النبوية.

والروضة[3] المقدسة مع آخر الجهة القِبْليَّة من المسجد الشريف مما يلي الشرق، ولها[4] خمسة أركان بخمس صفحات[5]، وشكلها عجيب[1]،

الكرك قريباً من عام ثم دخل دمشق، وزحف إلى مصر فقاتل المظفر بيبرس، وعاد إلى عرشه في رجب سنة ٧٠٩هـ وامتلك قياد الدولة فخطب له بمصر وطرابلس الغرب والشام والحجاز والعراق وديار بكر والروم وغيرها، وأبطل مكوساً كثيرة، واستمر ٣٢ سنة حتى وفاته سنة ٧٤١هـ بالقاهرة، وكان ملكاً مطاعاً مهيباً ذا دهاء وحزم وحلم لم يضبط عليه أحد أنه أطلق لسانه بكلام فاحش في شدة غضبه ولا انبساطه.

انظر ترجمته: السلوك للمقريزي: القسمان الأول والثاني من الجزء الثاني. فوات الوفيات ٢٦٣/٢، الدرر الكامنة ١٤٤/٤، النجوم الزاهرة ٤١/٨.

١) في ب : الناصر.

٢) سقط مابين المعقوفتين في ب.

(٣)من هنا إلى قوله: وقيل إنه قبرها. مطابق لما ورد في رحلة ابن جبير ص: ١٦٨ -١٧٢ مع شيء من التقديم والتأخير، ويستثنى من ذلك وصف الشبابيك وتأريخها.

(٤) هذا الوصف للحجرة النبوية الشريفة في زمن المؤلف، وليس وصفا للروضة التي تقع بين البيت والمنبر.

(٥) وذلك قبل وضع الشبك النحاسي عام ٨٨٧هـ في عهد قايتباي.

(5)

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

لا يكادُ يَتَأَتَّى تصويره لأحد ولا تمثيله، والصفحاتُ الأربعةُ مُحَرَّفَةٌ من القِبْلَة تحريفاً بديعاً، لا يَتَأَتَّى لأحدٍ استقبالُها في صَلاته[٢]، لأنه يَنْحَرِفُ عن القِبْلَة، وقيل: إن عمر بن عبد العزيز رضي الله/[٣] عنه اخترع ذاك في تدبير بنائها[٤] مخافة أن يتخذها الناس مُصَلًّى[٥]. وفي الصفحة الغربية منها صندوق آبَنُوس[٦] مُخَتَّمٌ[٧] بالصَّنْدَل[٨] مُصَفَّحٌ بالفِضَّة، مُكَوْكَبٌ[٩] بها، هو قُبَالَةَ رأسِ النبي صلى الله عليه وسلم[١٠]، وطوله خمسةُ أشبار، وعرضه ثلاثة أشبار، وارتفاعه

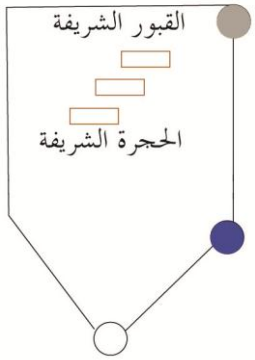

٢) في ب : صلاة.

٣) في ب : ٦٣/أ.

٤) في ب : بنيانها.

(٥) للتفصيل انظر: وفاء الوفا ٣٢٦/٢.

٦) خشب أسود يقال له أيضاً: الشِّيْزَى، أو: السَّاسَم. انظر: لسان العرب (شيز)، النهاية في غريب الحديث ١٧٢/٢.

٧) سقطت في ب.

٨) شجر طيب الرائحة، أجوده الأحمر أو الأبيض. القاموس (صندل)، مختار الصحاح (صندل).

٩) أي: يلمع بالليل كالكوكب. انظر: تاج العروس (كوكب).

(١٠) الرأس الشريف متأخر عن الصندوق يسيراً. قال السمهودي: ظهر لنا الرأس الشريف في محاذاة الجدار الداخل القبلي، والوجه الشريف إلى الجدار. انظر: وفاء الوفا ٣٤١/٢.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

أربعة أشبار، وفي الصفحة القِبْلِيَّة أمامَ وجهِ النَّبي صلى الله عليه وسلم مِسْمَارُ فِضَّة[1]، هو قُبَالَةَ الوجه الكريم فيقف النَّاسُ أمامَهُ للسَّلام [عليه صلى الله عليه وسلم][2] وإلى قدميه رأسُ أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ورأس عمر الفاروق رضي الله عنه مما يلي كتفي أبي بكر رضي الله عنه، فيقف المُسَلِّمُ مُسْتَدْبِرَ القِبْلَة ومُسْتَقْبِلَ الوجهِ الكريم، فَيُسَلِّمُ ثم ينصرف يميناً إلى وجه أبي بكر، ثم إلى وجه عمر رضي الله عنهما، وأمام هذه الصفحة المكرمة نحو العشرين قنديلاً[3] معلقة من الفضة، وفيها اثنان من الذهب توقد كل ليلة مع غيرها من الشمع العظيم العجيب. فجميع سعة الروضة المكرمة من جميع جهاتها مئتا شبر واثنان وسبعون شبرا، وهي مُؤزَّرَةٌ بالرخام البديعِ النَّحت، الرَّائقِ النَّعت، وينتهي منها إلى نحو الثلث والى حيز الرُّخام تنتهي الأستار من الدّيباجِ وهي لازُوردِيَّة اللون[4]، مُختَّمة بخواتم بيض مُثَمَّنة ومُرَبعة، ومنظرها

---

(١) ذكره ابن النجار في الدرة الثمينة ص:٤٣٦.

وقد سقط هذا المسمار سنة ٧٢٠هـ، ثم رد إلى موضعه سنة ٧٢٤هـ. انظر: وفاء الوفا ٣٤٤/٢.

٢) سقط مابين المعقوفتين في ب.

(٣) الوصف والعدد ذكرهما ابن جبير في رحلته ص١٧٠، ووافقه المؤلف على ذلك بعد أكثر من مائة عام، دون زيادة أو نقصان، إلا أن ابن النجار (ت:٦٤٣) قال: وفي سقف المسجد الذي بين القبلة والحجرة على رأس الزوار إذا وقفوا نيف وأربعون قنديلاً كباراً أو صغاراً من الفضة المنقوشة والساذجة، وفيها اثنان من البلور وواحد ذهب. انظر: الدرة الثمينة ص: ٤١٦. فالعدد في زمن ابن النجار أكثر من أربعين قنديلاً، وهو قبل المؤلف، وعدد القناديل في ازدياد، كما ذكر السمهودي فقال: إن الملوك وأرباب الحشمة كانوا يرسلون كل سنة عدداً من القناديل إلى الحجرة الشريفة، وأنهم أرسلوا في سنة ١٥ قنديلاً، وفي أخرى ١٣ قنديلاً وفي أخرى ٢١ قنديلاً.

لكن قد يكون إحصاء المؤلف في زمنه موافقاً لما ورد عند ابن جبير في رحلته، لما ذكره السمهودي أيضاً بقوله: إن القناديل إذا كثرت رفعوا بعضها ووضعوه بالحاصل. إذ أن المكان بين القبلة والحجرة محدود ولا يحتمل إلا عدداً من القناديل. انظر: وفاء الوفا ٣٥٤/٢.

٤) في ب: ازوردية . بدل : لازوردية اللون.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

منظرٌ رائقٌ بديعُ الشكل. والجدارُ المكرم قد عَلاه تضميخُ المسك والطيب، متراكماً عليه على طول الأزمنةِ وتعاقب الأيام، والذي يعلو مع عُلو الجدار شبابيكُ عود متصلةٌ بالسمك الأعلى، لأن أعلى الروضة المقدسة [متصل بسمك المسجد الشريف، وبين الروضة المقدسة][1] والشبابيك المباركة مدى واسع.

[و]للشبابيك أربعة أبواب، مكتوب على كل باب منها ما نصه: بسم الله الرحمن الرحيم خدم بهذه الدَّرَابزينة[2] للحرم الشريف مولانا السلطان الملك الظاهر ركن الدنيا والدين أبو الفتح بَيْبَرس الصَّالحي[3]، قَيِّمُ أمير المؤمنين في سنة ثمان وستين وستمائة[4]. وفي جوفي الروضة المقدسة حوض صغير مُرَخَّمٌ في قِبْلَته[5] شكل محراب، قيل: إنه كان بيت فاطمة رضي الله عنها، /[6] وقيل: إنه قبرها[7]، والله أعلم.

وعن يمين الروضة المقدسة المنبر المبارك، الذي قَصُرَ الصَّانعُونَ عن صَنْعته، ونَبَتْ الأفْهَامُ عن مَرَامِ شَبَهِهِ[8]، فقام في أدَقِّ نَمْنَمَة[9]، وأوضح رَقْمٍ[1] من رَفيع

---

١) سقط مابين المعقوفتين في ب.

٢) في ب: الدرابزينات.

٣) ولد سنة ٦٢٠هـ، أخذ من بلاده صغيراً، وبيع في سيواس، ثم أعتقه الملك الصالح، كان من قواد الجيش في معركة عين جالوت، ثم تآمر مع بعض الأمراء على قتل قطز سنة ٦٥٨هـ، تولى بعدها السلطة في مصر والشام. وتلقب بالملك القاهر أبي الفتوحات ثم تلقب بالملك الظاهر وهو الرابع من ملوك الترك، كان بطلاً شجاعاً. توفي في دمشق سنة ٦٧٦هـ ودفن فيها وأقيمت حول قبره المكتبة الظاهرية. انظر: النجوم الزاهرة ٩٤/٧، السلوك للمقريزي ٤٣٦/١.

(٤) انظر: وفاء الوفا ٣٨٧/٢.

٥) في ب: وقبلته . بدل: في قبلته. والمثبت هو الصواب. وانظر: رحلة ابن جبير ص١٧٠.

٦) في ب: ٦٣/أ

٧) الراجح عند أهل العلم أن فاطمة رضي الله عنها دفنت في البقيع. انظر: ابن سعد ٢٩/٨، الإصابة ٥٩/٨.

٨) في ب: شبهه.

(٩) أدق نقش وزخرفة. لسان (نمم).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

رَفيع الآبنوس، ونَفِيْس الصندل الأحمر والأصفر، والبَقْسِ[٢]، والنَّبْع[٣]، والبَقَّم[٤]، والشَّوْحَط[٥]، والقَيْقَب[٦]، بأحكم تركيب، وأبدع تصنيف[٧].

[٨]وما بينهما الروضة التي جاء فيها الحديث أنها من رياض الجنة[٩]، يَتَزاحمُ النَّاسُ فيها للصَّلاة، وحُقَّ لهم ذلك. وبإزاء الجهة [القبلية][١٠] عمود[١١] يقال: إنه مُطْبَقٌ على بقية الجذع الذي حَنَّ للنبي صلى الله عليه وسلم[١٢] وقطعة منه في وسط العمود ظاهرة، يُقَبِّلُهَا النَّاسُ، ويتبركون بلمسها، ومسح خدودهم

---

(١) أوضح تلوين بحمرة وسواد وغير ذلك. لسان (رقم).

٢) شجر كالآس ورقاً وحَبًّا. القاموس (البقس).

٣) شجر أصفر العود، إذا تقادم احْمَرَّ. لسان العرب (نبع).

٤) شجر يصبغ به. لسان (بقم).

٥) شجر أصفر من أشجار الجبال. وقال بعضهم: النبع والشوحط واحد. انظر: لسان (شحط).

٦) خشب تتخذ منه السروج. القاموس (القيقب).

(٧) هذا وصف منبر الظاهر بيبرس، واستمر في المسجد النبوي من سنة ٦٦٦هـ إلى سنة ٧٩٧هـ.

وكان طوله أربعة أذرع، ومن رأسه إلى عتبته سبعة أذرع يزيد قليلاً، وعدد درجاته سبع بالمقعدة. انظر: تحقيق النصرة ص١٧٢، المغانم المطابة٢/٤٩٥، وفاء الوفا ١٣١/٢.

ثم بدأ فيه أكل الأرضة، فَغُيِّرَ بمنبر أرسله الظاهر برقوق سنة ٧٩٧هـ.

انظر: التعريف ٢٨، النجوم الزاهرة ٣٦/٧، وفاء الوفا ١٣١/٢.

ويلاحظ هنا أن المؤلف لم يذكر ـ كعادته من أول الوصف إلى الآن ـ ما قاله ابن جبير عن المنبر، وذلك لتغير الموصوف، فابن جبير كان يصف منبر الملك المظفر الذي وضع سنة ٦٥٦هـ في المسجد النبوي الشريف بعد الحريق الأول سنة ٦٥٤هـ. انظر: التعريف ص٢٨.

(٨) يعود المؤلف للاقتباس من رحلة ابن جبير. انظر: ص١٧٠.

٩) يشير إلى ما رواه عبد الله بن زيد المازني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة» متفق عليه، رواه البخاري ٣٩٩/١، رقم: ١١٣٧، ومسلم ١٠١٠/٢، رقم: ١٣٩٠.

(١٠) سقطت في الأصل، أثبتها كما في (ب)، وابن جبير ص١٧٠.

١١) ويسمى: الأسطوانة المخلقة.

١٢) حديث حنين الجذع، رواه البخاري في المناقب رقم: ٣٥٨٣، والترمذي رقم: ٣٦٢٧، وابن ماجه رقم: ١٤١٥.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

فيها[1]. وطول المسجد الكريم مائة خطوة وست[2] وتسعون خطوة، وسعته مائة مائة وست وعشرون خطوة، وهو بالذراع ثلاثمائة ذراع طولاً، ومائتان عرضاً، وتكسيره من المراجع المغربية[3] أربعة وعشرون مرجعاً، وعدد سواريه ثلاثمائة[4]، وتحفه[5] من جهاته الأربع بلاطات[6] مستديرة به[7]، ووسطه كله[8] كله[8] مفروش بالحصا والرمل، وفي صحنه قبة بيضاء كبيرة[9]، أمامها خمس عشرة نخلة، ونصف جدار القبة الأسفل رخام موضوع إزار على إزار[10]، مختلفة الصنعة واللون، مُجَزَّعٌ أبدع تجزيع، والنصف الأعلى من الجدار مُنَزَّلٌ

---

(١) تقبيل الجدران والأعمدة مما لا دليل عليه شرعاً، قال ابن تيمية: اتفق العلماء على أنه لا يشرع تقبيل شيء من الأحجار ولا استلامه إلا الركنان اليمانيان حتى مقام إبراهيم الذي بمكة لا يقبل ولا يتمسح به، فكيف بما سواه من المقامات والمشاهد. الفتاوى ٢٧٤/٣. وقال: حتى تنازع الفقهاء في وضع اليد على منبر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كان موجوداً، فكرهه مالك وغيره لأنه بدعة، وذكر أن مالكاً لما رأى عطاء فعل ذلك لم يأخذ عنه العلم. انظر: الفتاوى ٨٠/٢٧، التبرك أنواعه وأحكامه للجديع ص٣٢٧.

٢) في ب: وستة.

٣) في ب: العربية.

(٤) قال ابن زبالة: عدد الأساطين ٢٩٦ أسطواناً، منها في الجدار القبر الشريف ستة. انظر: وفاء الوفا ٤٦٤/٢. وذكر ابن النجار نحو هذا العدد. انظر: الدرة الثمينة ص٣٧٥. وقال ابن جبير: وعدد سواريه مئتان وتسعون. رحلة ابن جبير: ص١٧١.

وهؤلاء جميعاً يذكرون عدد الأسطوانات (قبل الحريق الأول الذي حصل سنة ٦٥٤هـ، أما المؤلف فيذكر العدد وهو ٣٠٠ بعد بناء المسجد. ويؤكد السمهودي هذا العدد فيذكر بعد قول ابن جبير، أنهم زادوا على بناء المسجد عشرة أساطين. فصار المجموع ٣٠٠ أسطوانة. انظر: وفاء الوفا ٤٦٦/٢.

(٥) رحلة ابن جبير ص١٦٨.

٦) في ب: بلاطة.

(٧) والمقصود بالبلاطات: الأروقة. انظر: وفاء الوفا ٤٦٣/٢.

(٨) بزيادة: صحن، عند ابن جبير ص١٦٨.

(٩) تعرف بقبة الزيت، هي مخزن لجميع آلات المسجد المبارك، وأدواته وأغراضه. ينظر: رحلة ابن جبير ص١٧٢.

(١٠) أي: وزرة فوق أخرى. انظر: وفاء الوفا ٤٦٣/٢.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

كله بالذهب، قد أنتجَ الصُّنَّاعُ فيه نتائجَ غريبة من الصَّنعَة، فيها تصاويرُ أشجار مختلفة الصفات[1]، مائلات الأغصان بثمرها، والمسجد الكريم كله على تلك الصفة، لكن الصَّنْعَة في جدار القبلة[2] أَحْفَلُ، والاحتفال في هذا المسجد المبارك أكثر من أن يأتي عليه الوصف[3].

وللمسجد الكريم أربعة أبواب [كبار هي[4]][5] المفتوحة الآن، في الغرب منها اثنان، يسمى أحدهما: باب الرحمة[6]، والثاني باب الخشية[7]، وفي الشرق اثنان يعرف الواحد بباب جبريل عليه السلام، والثاني بباب الرجاء. ويقابل[8] باب الرجاء[9] مدرسة حافلة لم أر مدرسة أحسن بناء منها ولا أبدع/[10]

---

١) في ب: مختلفات الصنعة . بدل مختلفة الصنعات.

٢) في الأصل: القبة. والمثبت من (ب)، ورحلة ابن جبير، وهو الصواب.

(٣) عبارة المؤلف مختصرة من ابن جبير، وبتمامها يتضح المعنى:

قال ابن جبير: لكن الصنعة في جدار القبلة أحفل، والجدار الناظر إلى الصحن من جهة القبلة كذلك، ومن جهة الشام أيضاً، والغربي والشرقي الناظر إلى الصحن مجددان أيضا ومقرنصان، قد زينا برسم يتضمن أنواعا من الأصبغة إلى ما يطول وصفه وذكره من الاحتفال في هذا المسجد المبارك المحتوي على التربة الطاهرة المقدسة وموضعها أشرف ومحلها أرفع من كل ما تزين به. رحلة ابن جبير ص١٥٣ -١٥٤ (طبعة الهلال).

وهذا الوصف لجدار القبلة قبل الحريق الأول، قال السمهودي: وقد زال ذلك كله بسبب الحريق الأول، وبقي من آثاره شيء يسير في مؤخرة المسقف الغربي بجدار المسجد بما يلي الدكاك... إلى أن قال: وأما جدار القبلة فليس به اليوم إلا لوح يتضمن صور أشجار عن يمين مستقبل المحراب الشريف وهو من الآثار القديمة. وفاء الوفا ٤٦٤/٢.

(٤) عبارة ابن جبير: وللمسجد المبارك تسعة عشر بابا، لم يبق منها مفتحاً سوى أربعة. رحلة ابن جبير ص١٧٢.

٥) سقط ما بين المعقوفتين في ب.

(٦) ويسمى باب عاتكة. انظر: وفاء الوفا ١٩/٣.

(٧) ويعرف باب مروان. انظر: وفاء الوفا ٢٨/٣.

(٨) لم يذكر ابن جبير وصف المدرسة.

٩) في ب: الرحمة . بدل : الرجاء.

١٠) في ب: ٦٤/أ

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

صنعة[1]. ويقابل باب جبريل دار عثمان رضي الله عنه وهي التي استشهد بها[2]، بها[2]، وبإزاء المقصورة لجهة الشرق خزانتان كبيرتان تحتوي على كتب ومصاحف موقفة على المسجد المبارك، وبخارجه لجهة الشرق دار أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وبإزائها دار عمر بن الخطاب رضي الله عنه، [ودار ابنه عبد الله رضي الله عنه][3].

وللحرم الشريف أربع صوامع في الأربعة الجوانب[4].

[5]وبظاهر المدينة الكريمة من جهة القبلة على نحو[6] ميلين اثنين منها مسجد قُبَاء، وهو مسجد حسن، عدل التربيع، مستوي الطول والعرض، ظاهر البركة، كان النبي صلى الله عليه وسلم يأتيه رَاكِباً وماشيا[7]، وروى الترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال الصَّلاة في مَسْجِدِ قُبَاء كَعُمْرَة[8]، و[9] عنه صلى الله عليه وسلم أنه [قال: مَنْ تَوضَّأَ فَأَحسنَ وَضُوءَهُ ثُمَّ

---

١) في ب: صناعة.

(٢) انظر: وفاء الوفا ٨/٣ -٩.

٣) سقط ما بين المعقوفتين في ب.

(٤) وعند ابن جبير ص١٧٣: وللمسجد ثلاث صوامع.اهـ. ولم أعرف ما هو المقصود من الصوامع، ولعلها □المآذن. حسب الوصف والعدد عند المؤلف وابن جبير.

(٥) حديث المؤلف عن قباء من أوله إلى آخره من رحلة ابن جبير مع شيء من التصرف والتقديم والتأخير. انظر: رحلة ابن جبير ص١٧٤ -١٧٥.

٦) سقطت في ب.

٧) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يأتي قُبَاءَ راكباً وماشياً. رواه البخاري، رقم: ١١٩٣، ومسلم، رقم: ١٣٩٩.

٨) رواه الترمذي عن أُسَيْد بن ظُهَيْر الأنصاري رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم.١٤٥/٢، رقم: ٣٢٤.

٩) في ب بزيادة: روي.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ثُمَّ أتى مَسْجِدَ قُبَاء فَرَكَعَ فيه أربعَ رَكَعَات كان ذلك[1] عِدْلَ عُمْرَة[2]. وفي وسطه مَبْرك النَّاقَة بالنبي صلى الله عليه وسلم، وعليه شبه روضة صغيرة، يَتَبَرَّكُ النَّاسُ بالصلاة فيه، وفي صحنه مما يلي القبلة شبه محراب على مصطبة، هو موضع ركوع النبي صلى الله عليه وسلم[3]، وبأعلى المحراب مكتوب ما نصه: بسم الله الرحمن الرحيم (لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه، فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين) [4] ٢٣/ب هذا مقام النبي صلى الله عليه وسلم[5]، جُدِّدَ هذا المسجد في تاريخ سنة إحدى وسبعين وستمائة.

وطول المسجد مائة وعشرون خطوة، وعرضه كذلك، وله باب واحد من جهة الغرب، ومئذنته عالية جداً، بيضاء، تظهر على بعد، وأمام بابه بئر كبيرة عذبة معينة[6]، يأتي الماء منها إلى المدينة.

وفي قبلة المسجد دار أبى أيوب الأنصاري، ويلي دار أبي أيوب وهي دار بني النجار: دار عائشة، وبإزائها دار عمر، ودار فاطمة، ودار أبى بكر رضي الله

---

١) سقط مابين المعقوفتين في ب.

٢) رواه ابن أبي شيبة ٣٧٣/٢، وعبد بن حميد (المنتخب ٤٢٢/١، رقم: ٤٦٨)، والبخاري في التاريخ الكبير ٣٧٩/٨، وغيرهم.

عن طرف عن سهل بن حُنيف رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم. وانظر تخريجه ودراسة أسانيده مفصلة في فضائل المدينة للرفاعي ص٥٤٢ -٥٤٥.

(٣)لا يصح القول بأنها كانت أولا في رحبة المسجد، لاحتمال أنه زيد بعده في المسقف القبلي. قاله السمهودي في وفاء الوفا ١٥٣/٣.

٤) التوبة: ١٠٨.

(٥) الروايات الواردة في بناء مسجد قباء ترد هذا القول. انظر: وفاء الوفا ١٥٢/٣.

٦) وتسمى قديماً: بئر أريس، أو بئر الخاتم.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

عنهم[1].

وقباء كانت مدينة كبيرة متصلة بالمدينة المكرمة، والطريق إليها بين حدائق النخيل المتصلة، والنخيل يحدق بالمدينة من جهاتها كلها، وأعظمها/[2] نخلاً جهة القبلة وجهة الشرق.

وعند قفولنا من قباء، أتينا مسجد الفتح[3] الذي أنزلت على النبي صلى الله عليه وسلم فيه سورة الفتح[4] فتبركنا برؤيته، وتَنَفَّلْنَا ما شاء الله في بُقْعَتِه.

وبظاهر المدينة الكريمة من جهة الجوف على مقدار ثلاثة أميال منها جبل أُحُد، وبه مشهد حمزة رضي الله عنه، ومشاهد الشهداء بإزائه، وفي طريق أحد مسجد علي[5] رضي الله عنه، ومسجد سلمان الفارسي[6] رضي الله عنه.

وبخارج[7] المدينة الكريمة من جهة الشرق بقيع الغَرْقَد، فأول ما يلقى الخارج

---

(١)لعله يريد أماكن نزولهم قبل التحول إلى المدينة. انظر: وفاء الوفا ١٥٩/٣.

٢) في ب: ٦٤/ب.

٣) يقع على قطعة من جبل سلع في المغرب، غربيه وادي بطحان. ويسمى قديماً: مسجد الأحزاب، والمسجد الأعلى. ينظر: المغانم المطابة ٥٩٦/٢، وفاء الوفا ١٨١/٣.

(٤) جزم بهذا ابن جبير في الرحلة ص١٧٦. وقال المجد: وأما تسميته بمسجد الفتح فيحتمل أنه سمي به لأنه أجيبت فيه فيه دعوة النبي صلى الله عليه وسلم على الأحزاب، فكان فتحاً على الإسلام، أو أنزل الله عليه صلى الله عليه وسلم سورة الفتح هناك. المغانم المطابة في معالم طابة ٥٢٩/٢.

والراجح عند أهل العلم أن سورة الفتح من أولها إلى آخرها نزلت بين مكة والمدينة في شأن الحديبية. انظر: أسباب النزول للواحدي ٢٥٥، الدر المنثور ٥٧/٦.

٥) يقع المسجد على شارع المناخة بالجهة الغربية من المسجد النبوي شمالي مسجد الغمامة، وهو من المواضع التي صلى صلى فيها النبي صلى الله عليه وسلم العيد. ولعل نسبته إلى علي رضي الله عنه ترجع إلى ما جاء من أنه صلى بالناس العيد في هذا الموضع عندما كان عثمان بن عفان رضي الله عنه محصوراً. انظر: تحقيق النصرة ص٢٣٤، فصول من تاريخ المدينة المنورة ص١٤٧.

٦) يقع جنوبي مسجد الفتح مباشرة في قاعدة جبل سلع.

(٧) وصف البقيع مطابق لما ورد في رحلة ابن جبير ص١٧٣ مع شيء من الاختصار والتقديم والتأخير.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

من باب البقيع على يساره مشهد صَفِيَّةَ عَمَّةُ النَّبي صلى الله عليه وسلم، أمُّ الزُّبَير بن العوام [رضي الله عنهما][1]، وأمَامَهُ قبر مالك بن أنس رضي الله عنه، وعليه قُبَّة صغيرة مختصرة البناء، وأمامه قبر السلالة الطاهرة النبوية إبراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم، وعليه قبة بيضاء، وبقربه [قبر] عَقِيل بن أبي طالب، وعبد الله بن جعفر الطيار رضي الله عنهم، وبإزائهم روضة فيها أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنهن، وبإزائها روضة صغيرة فيها ثلاثة من أولاد النبي صلى الله عليه وسلم، وتليها روضة العباس بن عبد[2] المطلب والحسن بن علي، ورأس الحسن إلى رجلي العباس رضي الله عنهما، وهي قبة كبيرة مرتفعة في الهواء، والقبران مرتفعان عن الأرض متسعان، مُغَشَّيان بألواح ملصقة أبدع إلصاق، مرصعة بصفائح الصُّفْر، ومكوكَبة بمسامير على أبدع صفة، وأجمل منظر، وعلى هذا الشكل قبر إبراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم، وفي آخر البقيع قبر عثمان الشهيد ذي النورين رضي الله عنه، وعليه قبة كبيرة[3] عالية مختصرة، وعلى مقربة منه مشهد فاطمة بنت أسد [أم علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، وعلى القبر مكتوب: ما ضَمَّ قَبْرُ أُمِّ أَحَد كفَاطِمَة بنت أَسَد][4] رضي الله عنها، وعن بنيها، ومشاهد هذا البقيع المكرم أكثر من أن تُحْصَى، لأنه مدفن الجمهور من الصحابة المهاجرين

---

١) سقط مابين المعقوفتين في ب.

٢) سقط في ب.

(٣) عند ابن جبير: قبة صغيرة مختصرة ص١٧٤.

٤) سقط مابين المعقوفتين في ب.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

والأنصار، رضي الله عنهم[1].

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من مات في أحد الحرمين/[2] حاجًّا أو مُعْتَمِراً بعثه الله يوم القيامة لا حساب عليه ولا عذاب. وفي طريق آخر: بُعِثَ من الأمنين يوم القيامة.[3] وعن ابن عمر عنه عليه السلام: من استطاع أن يموت بالمدينة فليَمُتْ بها فإني أشفع لمن يموت بها.[4] وروي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال مَنْ جاءني زائرا لا يهمهُ[5] إلا زيارتي كان حقاً على الله سبحانه أن أكون له شفيعاً[6]، وروي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: مَنْ زَارني بعد وفاتي فكأنَّما زَارني في حياتي[7].

وفي كتاب الشفاء لابن سبع رحمه الله أن بعض العلماء قال: ومما خص الله به نبيه صلى الله عليه وسلم من الآيات الظاهرة والعلامات الزاهرة الشعاع الذي

---

(١) انتهى الاقتباس من رحلة ابن جبير في وصف البقيع.

٢) في ب :٦٥/أ.

(٣) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من مات في أحد الحرمين بعث من الآمنين يوم القيامة... » رواه البيهقي في شعب الإيمان ٩٥/٨. وانظر طرقه ودراسة أسانيده في فضائل المدينة للرفاعي ص٢٧٥ -٢٧٧، وقال: حديث إسناده ضعيف.

(٤) حديث صحيح: رواه الترمذي رقم: ٣٩١٧، وابن ماجه رقم: ٣١١٢، وأحمد ٧٤/٢، وغيرهم.

وانظر تخريجه ودراسة أسانيده في فضائل المدينة للرفاعي ص٢٦٤ -٢٦٧.

(٥) رواه بالمعنى، وفيه روايات أربع، هي: لا تُعْمِله، لا ينزعه، أو: لم تنزعه.

انظر: فضائل المدينة للرفاعي ص٥٨٥ -٥٨٦.

(٦) ضعيف الإسناد، منكر المتن. رواه الطبراني في الكبير ٢٩١/١٢، رقم: ١٣١٤٩. وانظر طرقه وألفاظه في فضائل المدينة للرفاعي ص٥٨٥.

(٧) ذكره السبكي في شفاء السقام ص٣٧، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال: هذا خبر منكر جدا، ليس له أصل، بل هو حديث مفتعل موضوع، وخبر مخلق مصنوع لا يجوز الاحتجاج به ولا يحسن الاعتماد عليه. وله شواهد كلها واهية.

انظر: طرقه وألفاظه في فضائل المدينة للرفاعي ص٥٨٤ -٥٩٥.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

يرى فوق المدينة كالإكليل، يتطاير من موضع لا يخفى على من يتأمله، وهذه كرامة أفرد الله بها المدينة دون سائر البلدان[1].

وللمدينة[2] المكرمة أربعة أبواب وهي تحت سورين[3] في كل سور باب يقابله باب آخر[4] [واحد منها حديد كله][5] يعرف بباب الحديد، ويليه باب الشريعة، الشريعة، ثم باب القبلة ثم باب البقيع المذكور، وقبل سور المدينة من جهة الغرب بمقدار غَلْوَة[6] هي[7] الخندق الشهير الذكر، الذي صنعه النبي صلى الله عليه وسلم عند تحزب الأحزاب، وبينه وبين المدينة المكرمة عن يمين الطريق العين المنسوبة للنبي صلى الله عليه وسلم، وعليها حَلَق عظيم، وبنيان

---

١) هذا أمر خاص بمن رآه، ونكل أمره إلى الله، صدقاً أو كذباً، وقد عاش في المدينة خلق كثير، ومر عليها خلق كثير، من أهل العلم وغيرهم، ولم يذكر أحد منهم أنه رأى هذا الإكليل، فالله أعلم.

(٢) يعود المؤلف من هنا للاقتباس من رحلة ابن جبير. انظر: ص١٧٥.

٣) لم يكن للمدينة المنورة في القرنين الأول والثاني الهجريين سور، وفي سنة ٢٦٣هـ تعرضت المدينة لهجمات متعددة، فقام أميرها محمد بن إسحاق الجعدي ببناء سور من الطوب واللبن وجعل له أربعة أبواب، باب في المشرق يخرج منه إلى بقيع الغرقد، وباب في الغرب، وباب ما بين الشمال إلى الغرب، وباب يخرج منه إلى أحد. وقد جدد عضد الدولة البويهي السور المذكور بين عامي ٣٦٧ -٣٧٢هـ. وجعل له أربعة أبواب: باب البقيع، باب الثنية، باب جهينة، باب الخندق، ولم يمض على السور قرنان من الزمن حتى تهدم، فجدده جمال الدين محمد الجواد الأصبهاني سنة ٥٤٠هـ. ثم جدده السلطان حسن بن محمد بن قلاوون سنة ٧٥١هـ. وفي عام٥٥٨هـ أقام نور الدين زنكي سوراً آخر أحاط بالسور القديم والتجمعات السكنية التي أقيمت خارجه. انظر: تحقق النصرة ص١١٩، المغانم المطابة ٤٥٦/٢ -٤٥٨.

٤) في ب بزيادة: والواحد منها حديد كله.

(٥) سقط ما بين المعقوفتين في الأصل، وفي (ب): والواحد منها حديد كله. وعند ابن جبير: الواحد منها كله حديد ص١٧٥، ولعل الصواب: واحد منها حديد كله. لأنه يذكر أسماء أربعة أبواب، فالأول: باب الحديد، ثم باب الشريعة، ثم باب القبلة، ثم باب البقيع.

٦) الغَلْوَة: قدر رمية بسهم. لسان العرب (غلا).

(٧) عند ابن جبير ص١٦٥: تلقى. بدل: هي.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

مستدير، ومنبع العين وسطه كأنه الحوض المستطيل، وتحته سقايتان[1] مستطيلتان باستطالة الخلق، قد ضرب بين كل سقاية وبين الحوض المذكور بجدار، فحصل الحوض محدقاً بجدارين وهو يمد السقايتين[2] المذكورتين ويهبط إليها على أدراج عددها خمسة وعشرون درجاً[3]، وماء هذه العين المباركة يعم أهل الأرض، [فضلاً] عن أهل المدينة[4]. وللمدينة المكرمة سقاية ثانية، داخل باب الحديد، يهبط [إليها] على أدراج، وماؤها معين، وهي بمقربة من الحرم الكريم، والمدينة الكريمة في مستو من الأرض، شريفة/[5] نزيهة، وسماها عليه[6] السلام طيبة[7]، لأن من توجه نحوها يجد رائحة طيبة على مسيرة أميال[8]، والمدينة الكريمة مُتَّسعةُ الأرجاء، مُشْرِقَة الأنحاء، طيبة الهواء، كثيرة النخيل والماء، ممتدة التخطيط والاستواء، حسنة الترتيب

---

١) في ب : سقايتان.

٢) في ب : الساقيتين.

٣) في ب : درجة.

(٤) انتهى وصف السقاية عند ابن جبير ص١٧٦.

٥) في ب :٦٥/ب.

٦) في ب بزيادة : الصلاة.

٧) عن فاطمة بنت قيس رضي الله عنها وكانت من المهاجرات الأُوَل، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هذه طيبة، هذه طيبة، هذه طيبة». رواه مسل، رقم: ١٣٨٥، في حديث طويل هو حديث الجساسة.

وسميت أيضاً: طابة، كما في حديث أبي حميد الساعدي رضي الله عنه قال: أقبلنا مع النبي صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك حتى إذا أشرفنا على المدينة قال: هذه طابة. البخاري رقم: ٤٤٢٢، ومسلم رقم: ١٣٩٢.

(٨) قد تقدم أن النبي صلى الله عليه وسلم سماها: طيبة، وطابة. وَالطَّاب وَالطِّيب لُغَتَانِ بِمَعْنًى، وَاشْتِقَاقهمَا مِنْ الشَّيْء الشَّيْء الطِّيِّب، وَقِيلَ لِطَهَارَةِ تُرْبَتهَا، وَقِيلَ لِطِيبهَا لِسَاكِنِهَا، وَقِيلَ مِنْ طيب الْعَيْش بهَا ، وَقَالَ بَعْض أَهْل الْعِلْم: وَفِي طِيب تُرَابهَا وَهَوَائِهَا دَلِيل شَاهِد عَلَى صِحَّة هَذِهِ التَّسْمِيَة، لِأَنَّ مَنْ أَقَامَ بهَا يَجِد مِنْ تُرْبَتهَا وَحِيطَانهَا رَائِحَة طَيِّبَة لَا تَكَاد تُوجَد فِي غَيْرهَا. وَيَجِد لِطِيبهَا أَقْوَى رَائِحَة ، وَيَتَضَاعَف طِيبهَا فِيهَا عَنْ غَيْرهَا مِنْ الْبِلَاد ، وَكَذَلِكَ الْعُود وَسَائِر أَنْوَاع الطِّيب. انظر: فتح الباري، حديث رقم: ٤٤٢٢.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

والبناء، لم أر قط ولم أتنشق آنق من رُبَاها[1]، ولا أعْبَقُ من صَبَاها[2]، ولا أمرعُ أمرعُ من رَوْضِهَا، ولا أمرحُ من أرضها، ولا أصفَى من جَوِّهَا، ولا أضوأ من ضَوْئها، ولا أشرقُ من نُورِهَا، ولا أفيق من نورها، ولا أرقُّ حاشِيةً من أَدِيمهَا، ولا ألصقُ بنياط القلبِ من أَرَجِهَا ونَسِيمِهَا.

أُحبُّ الحِمَا مِنْ أَجل مَنْ سَكَن الحما

ومن أجل مَنْ فيها تُحَبُّ المنازِلْ

ولم أزل ألازم ذلك الحرم الشريف مساءاً وصباحاً، وأتنعم في روضة الجنة غُدُوًّا ورَوَاحاً، وأرْسِلُ دَمْعَ اللقاءِ مِدرارا، وأناجي الحبيبَ ليلاً ونهارا، فتهب نفحات القبول[3] من ذلك الجَناب، وتنفح أرواح الرحمة فأجتلي[4] المحبوبَ من وراء حجاب، ويزدحم الناس على الروضة المقدسة فتتلقاهم جَنَّاتُ عَدْنٍ مفتحة لهم الأبواب، وفي كل ليلة تتجددُ لنا من اللطائف والتحف، والطرائف والزُّلَفِ، ما تقصر الألسن عن نعتها، وما نرى من آية إلا هي أكبر من أختها، وقد أثبت جميع ما سمعت، وجميع ما لقيت بذلك الحرم النبوي الشريف في برنامج[5] روايتي[6].

---

(١) الرُّبَى: جمع ربوة، وهي ما ارتفع من الأرض. انظر: لسان العرب (ربا).

(٢) الصبَّا: ريح.

٣) في ب : القلوب.

(٤) انظر إليه. القاموس المحيط (جلى).

٥) في ب : رواياتي.

(٦) البرنامج: هي الكتب التي تشتمل على ذكر الشيوخ الذين لقيهم المؤلف وأخذ عنهم أو أجازوه. وقد يسمى: ثبتاً، أو: فهرساً. وقد بحثت عن برنامج البلوي ولم أوفق للعثور عليه مخطوطاً، ولا أعلمه مطبوعاً. والله أعلم.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وأكبر[1] من لقيت به وأفضلهم وأعلمهم باللّه تعالى وأزهدهم وأكملهم الشيخ الإمام الأوحد، ولي اللّه تعالى، أبو محمد عبد اللّه بن أسعد بن علي اليَافعي، اليمني الشافعي[2]، رضي اللّه عنه، هو من أجل العلماء العابدين، وأفضل الأولياء الزاهدين، وأحفل الأدباء البُلَغَاء الماجدين، آثر الفقر على الغنى، واختار الآخرة على الدنيا، وتبدَّلَ من النِّجَادِ[3] بالوهَاد[4]، واعتاضَ من اللُّدونَةِ بالخُشُوَنة[5]، فقطع العلائق، وهجرَ [الخلائق]، ورأى الدنيا ساعة، فجعلها طاعة، فَشَمَّرَ ٢٤/أ للعبادة كُلَّ التشمير، وبالغ في الزَّهَادَة حتى ما أبقى من فَتيل ولا قِطْمير، فخرج من مواطنه ببلاد اليَمَنِ سَائِحاً وانقطعَ لعبادة مولاه

---

١) في ب : ومن أكبر.

٢) عفيف الدين، أبو محمد، وأبو السعادات، وأبو عبد الرحمن. ولد في عدن سنة ٦٩٨هـ، ونشأ فيها، حج سنة ٧١٢هـ، ثم عاد إلى اليمن، وصحب الإمام علي الطواشي، وانتفع به، ثم رجع إلى مكة سنة ٧١٨هـ، وأقام بها وسمع على الرضى الطبري، والنجم الطبري، وغيرهما. رحل إلى الشام سنة ٧٣٤هـ، وزار القدس والخليل ، ثم زار مصر، وكان يحج سنوياً طول فترة غيابه، ثم عاد إلى مكة وأقام بها.ثم جاور بالمدينة المنورة، وتزوج بها. تصدى للتصنيف والإقراء والإسماع، وأخذ عنه: الزين العراقي، والجمال بن ظهيرة. له: " مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان" و" الدر النظيم في خواص القرآن العظيم" وكان شاعراً مجيداً، له ديوان شعر في نحو عشر كراريس. كان كثير العبادة والورع، منقطع القرين في الزهد، وافر الصلاح والعزلة، شديد الإيثار للفقراء، وكان عارفاً بالفقه والأصول وعلوم العربية، والفرائض والحساب، وغيرها من فنون العلم، وقد أثنى عليه كثير من العلماء والأدباء، منهم: الإمام بدر الدين حسن بن حبيب أديب حلب، وجمال الدين الإسنوي وغيرهما. توفي بمكة المكرمة سنة ٧٦٨هـ، ودفن بالمعلاة. انظر: العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ١٠٨/٥، الدرر الكامنة ٢٤٧/٢، التحفة اللطيفة ٢٩٤/٢.

٣) في ب الحياة . بدل النجاد.

(٤) الوهاد: ما انخفض من الأرض.

يريد أنه تواضع للّه سبحانه وتعالى فترك مقامه المرتفع العالي وانخفض تواضعاً.

(٥) اللدونة: اللين من كل شيء. يريد أنه ترك اللين زهداً واختار الخشن.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

شَاباً صالحاً/[1]، مُفَارِقاً للإمرة، وهاجراً ديارَهُ إلى دار الهجرة، فاشتهر عِلماً وعقلاً، واشتغلَ بالحق عن الخلق، وكفى بالعبادة شُغْلاً، واستفد في طاعة مولاه الجَهْد، واستَهَلَّ في دُنْيَاه الجُهْد، وآثرَ الرغبة عنها والزُّهد، وتَسَوَّغَ صَابَهَا[2][3] كما يتسوغ الشَّهْد، وأطال في حَنَادِيْسِهَا[4] السُّهْد[5]، وواصل الصِّيامَ والقيام حتى أفنى العظم والجلد، ولقد عاينته وقد التصق بالأرض الخد وأسال دُموعَه حتى سَقَت الثَّرى والنَّجْد، وعلا صياحُه مُتأوهاً باكياً، حتى كاد أن يبكي [الحجر][6] الصَّلْد[7]. فيرحمه من شاهده قد فني ويرتجي له الخلد، فاستقر بالحرم النبوي الشريف وقر في ذلك الجناب العالي المنيف، وقسم مجاورته الكريمة بين الحرمين الشريفين مكة والمدينة، فتارة يكون في جوار بيت الله، وتارةً يسكن[8] في حرم رسول الله [صلى الله عليه وسلم، وشرف وكرم.][9] لم يزل على ذلك منذ سنين، فله من الحِجَجْ ما يَنيف على الخمسين، ما ملك زيادة على سَتر عورته، ولا علم أحد من أين يأتيه سَدُّ جُوْعَتِه، قد رَفَعَ العِلْمُ قَدْرَهُ، واحتقرت العين طِمْرَه[10]، ولو أقسم على الله

---

١) في ب : ٦٦/أ.

٢) في ب : مابها. وهو تحريف.

(٣) الصاب: شجر مرٌّ. القاموس (الصوب).

(٤) لياليها المظلمة. القاموس (حندس).

(٥) قلة النوم. القاموس (السهد).

٦) سقطت في الأصل، وأثبتها كما في ب، وبها يتم المعنى.

(٧) الصلب الأملس. القاموس (الصلد).

٨) في ب يكون. بدل : يسكن.

٩) سقط مابين المعقوفتين في ب.

(١٠) الطِّمْر: الثوب الخلق، أو الكساء البالي من غير الصوف. لسان العرب (طمر).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

لأَبَرَّه[1]:

رُبَّ ذي طِمْرَينِ نِضْوٌ[2] يَأْمَنُ العَالَمُ شَرَّه
لا يُرَى إلا غَنِيّـــــًا وهو لا يَمْلِكُ ذَرَّه
ثُمَّ لو أَقْسَم في شيء على اللّه أَبَـــرَّه

لقيته بالحرم النبوي الشريف، فسمعت منه، ورويت عنه، وظهرت لي بركة لقائه، وإجابة دعائه. نفعنا اللّه به وبأوليائه، وسمعت من لفظه كثيرا من تأليفه الذي سماه: كتاب الإرشاد والتطريز في فضل ذكر اللّه وتلاوة كتابه العزيز[3]، وفضل الأولياء والنَّاسكين والفقراء والمساكين[4]، وهو تأليف بديع بديع المسلك، وأجازه لي، وأذن لي في روايته عنه، وأجازني إجازة تامة، وأنشدني منه قصائد عديدة لنفسه[ولغيره][5]، من ذلك قصيدة طويلة أحسن فيها ما شاء، وأجاد، وأولها:

قِفي حدثيني من حديث الأحبة وقد سكروا من كأس راح المحبة
وأقمار حسن قد تجلت ليجتلوا عرائس أنوار عن الوصف جلت

(١) لا نتألى على رب العالمين سبحانه وتعالى، لكن نقول: نحسبه كذلك، ولا نزكيه على اللّه.
(٢) نضو: خلع ثوبه وألقاه عنه. لسان العرب (نضا).
٣) نشر في القاهرة: ١٩٥٩، ٣٢٤ص.
٤) نشر في القاهرة، بعنوان: روض الباحثين في مكانات الصالحين.
٥) سقطت في الأصل، وأثبتها كما في ب.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ومن ذلك قصيدته التي أولها:/ [1]

تركتُ هَوىَ لَيلى وسُعْدَى بمعْزِلِ وعدتُ إلى تصحيحِ أول مَنزِلِ
ونادتْ بيَ الأشواقُ مَهْلاً فهذه مَنازلُ مَنْ تَهوى رُوَيْدَكِ فانزلِ

وأنشدني لنجم الدين الأصبهاني:

وقد أوطأتُ نعلي كلَّ أرضٍ وقد أتعبتُ نفسي باغترابِ
وقد طوفتُ في الآفاق حتى رضيتُ من الغنيمةِ بالإياب

ومن أعظمهم رياسة، وأكرمهم سيادة وسياسة، الشيخ العالم الرئيس جمال الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن خلف الخزرجي المطري السعدي العبادي[2] رضي الله عنه ذو المَجَادَةِ والأَصَالَة، والسِّيَادة المأثورة والجَزَالَة، والحفظ لرسوم العلم والجلالة، الذي عَمَّر بالوفد، وشهد بالرِّفْد، وتبوأ

---

١) في ب: ٦٦/ب.

٢) ولد بالمدينة، ونشأ بها، فسمع من أبي اليمن ابن عساكر مصنفه: إتحاف الزائر، وسمع الشفا من خلف بن عبد العزيز القيتوري، قدم مصر مراراً وسمع بها من الدمياطي ولازمه كثيراً، والشهاب الأبرقوهي. خلف والده في رئاسة المؤذنين بالمسجد النبوي. وكان من أحسن الناس صوتاً. وناب في الحكم والخطابة هناك. وكان إماماً عالماً مشاركاً في العلوم. عارفاً بأنساب العرب. له يد في ذلك مع زهد وعبادة. وشعر رائق وفضائل جمة. وصنف للمدينة تاريخا مفيداً.

حدث بينه وبين شيخ الحرم عزيز الدولة اختلاف، بسبب غيابه عن الأذان بعد أن استناب المؤذن عز الدين، فلم يؤذن عز الدين، فغضب عزيز الدولة وأنب جمال الدين، فأقسم أن لا يؤذن على مئذنة المسجد حتى يموت عز الدين فكان إذا دخل الوقت يؤذن عند باب جبريل، وظل كذلك حتى مات عز الدين سنة ٧١٧هـ، فانحلت اليمين وعاد إلى الأذان، وتوفي سنة ٧٤١هـ.

انظر: نصيحة المشاور ص:١٤٩، الدرر الكامنة ٣١٥/٣، المغانم المطابة في معالم طابة ١٢٨٩/٣.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

بحبوحة المجد، وسار سيرة الصلحاء الأخيار، وورث الأعمال البارة عن أسلافه الأبرار، وتقبل ذروة العز المكينة، وأشير إليه بالسَّمْتِ والعدالة والسَّكينة، كبير الرؤساء، وأثير الكرماء، وعارض النعماء، وفاضل العلماء، وكامل السؤدد والعلاء، عكف على إسماع الحديث وإقامة السنة، ووقف لقضاء أوطار أهل الأقطار، لا واهي المِنَّة[1] ولا ضعيف الْمُنَّة[2]، لقي الصدور الأكابر، فوعى صدره علماً كبيراً، وسُقِيَ زُلالَ الحكمةِ فأحيا اللّٰه به أنعاماً وأناسيَّ كثيرة.

جَزَتْهُ جَوَازي الخير عَنْهُمْ فَإِنَّهُ سَقَاهُمْ بشُؤْبُوبٌ[3] مِنَ العِلْمِ سَاجِمُ[4]

فَقَدْ سَارَ فيهمْ سيرةً لم يَسِرْ بها مِنَ النَّاسِ إلا مثلُ كَعْبٍ وحَاتم[5]

لقيته بالحرم النبوي الشريف تجاه الروضة المقدسة، فسمعت عليه كثيرا من حديث رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم[6]: الأربعون حديثاً التي خرجها له الإمام الحافظ علم الدين البِرْزَالي الدمشقي[7] من كتاب الزيارة[1] لأبي اليمن عبد

---

١) من المن: أي: لا يمتن على أحد.

٢) المنة بضم الميم أي القوة.

٣) بدفعة من العلم. لسان العرب(شأب).

٤) أي ينصب انصبابا. لسان العرب (سجم) .

٥) في الأصل: كعب بن حاتم. والمثبت من (ب) وهو الصواب. وقوله كعب وحاتم، مثل في الكرم والجود، وهو أقرى مِنْ أَرْمَاقِ الْمُقوِيْنَ : وهم كعب وحاتم وهرم لأنهم كانوا بجودهم يحيون الهلاك ويطعمون من نفد زاده. المستقصى في أمثال العرب ١/ ٢٨٠.

٦) في ب بزيادة : ومن ذلك.

٧) القاسم بن محمد بن يوسف، البِرْزَالي (نسبة إلى برزالة، بطن من بطون البربر)، علم الدين، أبو محمد، ولد بدمشق سنة ٦٦٥هـ، أصله من إشبيلية، زار مصر والحجاز، تولى مشيخة دار الحديث بدمشق، ألف كتاباً في التاريخ جعله صلة لتاريخ أبي شامة وبلغ به إلى سنة ٧٣٨هـ، توفي سنة ٧٣٩هـ في خليص محرماً.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

الصمد بن عبد الوهاب بن عساكر[٢]، [وحدثني بها عن أبي اليُمْنِ بن عساكر][٣] المذكور سماعاً عليه، وأجازنيها، مع جميع ما يحمله ويرويه، إجازة تامة، مطلقة عامة، ومولده/[٤] في سنة ست وسبعين وستمائة[٥]، وما برحت في ذاك الحرم الشريف في بلوغ سؤل، ومجاورة أكرم نبي، وأفضل رسول، إلى أن وصلت الركبان الشامية التي كنا خَلَّفْنَا خَلْفَنَا، فخرجنا بأثر وصولهم، ورحلنا بعد نزولهم وحلولهم، وقد صَحَّت لنا فضيلة التقدم، وهَبَّت علينا نفحات القَبُول والتَّكرم، والشوقُ في كل ذلك مُكتنفٌ ولا دمعَ إلا مُنْذَرِفٌ، ولا قلبَ إلا مُخْتَطَفٌ.

ولولا التَّرجي للمحبين لم تكن قلوبُهُمُ يومَ النَّوى تَعْمِرُ الصَّدْرَا

وكان خروجنا من المدينة المذكورة[٦] في ضحوة يوم الاثنين الثالث والعشرين لذي القعدة المذكورة، وسرنا نكفكفُ أمطار الدموع، ونخلف المدينة الكريمة بالطرف الرَّامِقِ والقلب الوَلوع، وقلبي يتوقف عن اللِّحاق، ويتخلف

فوات الوفيات ١٣٠/٢، الدرر الكامنة ٢٣٧/٣، النجوم الزاهرة ٣١٩/٩، الأعلام ١٨٢/٥.

١) المسمى: إتحاف الزائر وإطراف المقيم للسائر.

٢) نزيل مكة، ولد بدمشق سنة ٦١٤هـ ونشأ بها، ثم رحل إلى العراق والحجاز ومصر، شارك في الجهاد في مصر سنة ٦٤٧ ضد الصليبيين، ثم جاور بعدها في الحرمين حتى توفي سنة ٦٨٦هـ بالمدينة المنورة.

انظر ترجمته: ملء العيبة ١٤٥/٥، العبر في خبر من غبر ٣٦٢/٣، التحفة اللطيفة ١٨/٣.

٣) سقط مابين المعقوفتين في ب.

٤) في ب :٦٧/أ.

(٥) اختلف في تاريخ ولادته:

- فجزم ابن فرحون في نصيحة المشاور ص١٥٠ أنه ولد سنة ٦٧٣هـ.

- وقال ابن حجر في الدرر ٣١٥/٣: ولد سنة ٦٧١هـ، ثم ذكر في آخر ترجمته: أنه ولد سنة ٦٧٦ وقال هو الصواب.

٦) في ب : الكريمة.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

عن الرِّفَاق، ويتخوف من فَرْقِ الفِرَاق، بعد فَرَحِ التَّلاق، فصارعتُ مَرَامَه، وأنشدت أَمَامَهُ:

للّه أي هَوىً برَامـــــه حيثُ القلوبُ المُسْتَهَامَه
لم يبق قلبٌ في الحِمَى إلا وقد أَعْطَى زِمَامَه
باللّه يا حَادي القلوبِ إذا رجعتَ مع السَّلامة
فاخدَعْ فـؤادي عَلَّهُ يَرْعَى لمنزلهِ ذِمَامَه.

[طريق العودة]

٢٨/أ[١] ووصلنا إلى المدينة النبوية الكريمة بقلوب مسرورةٍ بالوِصَال، محزونةٍ بما تتوقعه بعد ذلك من قرب الارتحال:

ما يقتلُ الليلَ الطويلَ سهراً غيرُ مُحبٍ خائِفٍ أن يُهْجَرَا

فدخلناها عشية يوم الأربعاء، الثالث والعشرين من ذي الحجة[٢]، واليوم قد ولى ولى شَبَابُه، والمساء قد استحكمت أَسبابُهُ:

والشمسُ تجنحُ للغروبِ مريضةً والليلُ نحو مَغيبهَا يَتَطلَّعُ

ولما حططنا بها رحال الإلمام[٣]، وخَلَعْنَا على عِطْفِ الصَّلاة بُرْدَةَ[٤] الإتمام، وتسارعنا إلى الروضة الشريفة المقدسة تسارع الطير إلى الأوكار، وتسابقنا تسابقَ الخَواطِر مع الأفكار، وكنا ظننا أن الدموعَ نَفَدَتْ، وأن نيران القلوب

---

١) في ب : ٨١/ب.

٢) في ب بزيادة : من العام المذكور.

٣) في الأصل: الإمام، والمثبت من ب.

٤) في ب : ورود.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

خَمَدَتْ، فتراكَمَتْ من العيون سُحُبُهَا، وتزايد من القلوب لَهَبُهَا، وأخذنا بعد السلام في شرح ما فعلت الأشواق، وإن كانت الإحاطة بوصفها تكليف ما لا يطاق، وجرى الأمر كما سلف من خلوات[1] معهودة، وقلوب ببرد المغفرة مَعْمُودَة، وبتنا نُطفئ نيران الأشواق بماء العبرات، وننادي رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم من أمام[2] الحجرة لا من وراء الحجرات:

ولما وَقَفْنَا للسَّلامِ تَبَادَرَتْ دُموعي إلى أن كِدْتُ في الدَّمع أَغْرَقُ
فقلتُ لَعيني هَلْ مَع الوَصْلِ عَبْرَةٌ فقالَتْ ألسنَا بَعْدَ ذَا[3] نَتَفَرَّقُ

ولما تحقق السفر عن ذلك الحِمَا، وأشأم حادٍ كان بالأمس أتهما ، أجريتُ[4] الدموعَ، وحَرَّمْتُ الهجوعَ، وأضرمت بنيران الزفراتِ الأكبادَ والضلوعَ/[5]، وانقطع بيَ الرَّجَاءُ، وضاقت عَليَّ الأرجاءُ:

قالوا الرَّحيل وما تَمَلَّت باللِّقَا عَيني ولا امتلأت بغير مَدَامعِ[6]
فَتَيَقَنَتْ رُوحي بأنَّ مَقالَهم[7] أن يصدق الحادي أشد مَصَارعي
ووقفتُ بين تَأَمُّلٍ وتَمَلْمُلٍ يَبدو السّرُور على فؤادي الجازعِ
حيرانَ لا أدري بقربٍ رَائقٍ أذريِ المدامعَ أم لبُعْدٍ رائعِ

وودعنا الروضة المشرفة المكرمة، والتربة المقدسة المعظمة، فياله وداعاً ذابت

---

١) في ب : خلوة.

٢) في الأصل: وراء. والمثبت من ب.

٣) في ب : بعده . بدل : بعد ذا.

٤) في ب : جرت.

٥) في ب : ٨٢/أ.

٦) الشطر الثاني في ب : ولاامتلأت بعيني مدمعي.

٧) في ب : مقامهم.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

لـه الأجسـاد ، والتهبـت بـه الأكبـاد ، وكـاد يتصـدع الجمـاد ، ٢٨/ب ومـا ظنـك بموقف يُنَاجَى بالتوديع فيه سيدُ المرسلين، ورسولُ رب العالمين، وخيرةُ خلق الله أجمعين، إنه لموقف تَنْزِعُ الأرواح فيه انتزاعاً، وترى الخلق من هوله صراعاً، كُلٌّ يُقاسي مرارة مذاقه، ويبوح لديه بأشواقه، ولا يجد بُدًّا من فراقه، فَوَا أَسَفَاهُ وَا أَسَفَاه. ما أصبر قلبي على هذا الوداع وأجفاه:

عَجَباً لقلبي يومَ رَاعَتْهُ النَّوى وَدَنَا وداعكَ كيف لم يَتَفَطَّر

بَوَّأَنا الله منزلة[1] الكرامة، بزيارة هذا النبي الكريم، وأَحلَّنَا من فضله في جِوَارِه دار المُقَامَةِ، إنَّه ذو الفضل العظيم بمَنِّهِ وكَرَمِهِ، ثم رحلنا من المدينة النبوية الشريفة، في يوم الخميس الرابع والعشرين من ذي الحجة المذكورة، وهو غُدُ يوم دخولنا ووصولنا، وَسِرْنَا مع الركب المصري على عادتنا من وصل السَّرى، وحَثِّ المطيّ، وأنا أجد نسيم طيبة الطيبة أعبق من العنبر الذكي، وأفتق من المسك النَّقي، وأحلى على قلبي الصادي من المورد العذب الشهي.[وأنشد]الفخر الرؤساء الرضى الموسوي:

أَيُّها الرَّائحُ المُجِدُّ تَحَمَّل حَاجَةً للمُتَيَّم المُشْتَاقِ

واقرِ عَنِّي السَّلامَ أهلَ المُصَلَّى وبلاغُ السَّلامِ بعضُ التَّلاقي

وإذا ما مررتَ بالخَيْفِ فاشْهَد أَنَّ قلبي إليه بالأشواقِ

ضَاعَ قلبي فَانْشِدْهُ لي بين جَمْعٍ ومِنَى عند بعض تِلكَ الحِداقِ

وابكِ عَنِّي فَطَالَما كنتُ مِنْ قَبلُ أُعيرُ الدَّمُوعَ للعُشَّاقِ[2]

---

١) في ب : من

٢) في ب : ٨٢/ب.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة